المصدر: الشرق الاوسط
التاريخ : ٥ مارس ٢٠٠٣

العراق متحف أثري لا تقصفوه!

اخيرا انضم الى المعارضين الكثيرين للحرب في العراق علماء الآثار والباحثون والمحامون وجامعو التحف والمقتنيات الاثرية على رأس طابور طويل من المثقفين، اعتقادا منهم ان مثل هذه الحرب ستهدد اهم المناطق الاثرية في العالم، التي هي مهد الحضارة الانسانية القديمة في وادي الرافدين.

فأنت أينما توجهت في العراق تصادفك مناطق اثرية، سواء اكانت من العهد السومري، أم البابلي، أم الآشوري، أم العربي. ومن دون أي مبالغات فان البلاد جميعها منطقة اثرية بشكل أو بآخر. يكفي أن نذكر بابل ونينوى وأور ونيبور ونمرود وخورساباد وأشور وأربيل حتى نتبين مدى أهمية هذه البلاد في التاريخ القديم. أما بالنسبة الى التاريخ العربي فحدث ولا حرج. فهناك بغداد عاصمة الرشيد وكربلاء والنجف وسامراء والموصل وطاق كسرى وغيرها من المدن ذات الصدى البعيد الموغل في التاريخ العربي الجميل.

المعلوم ايضا انه في وادي الرافدين بالذات ظهرت الكتابة المسمارية، وصناعة الزجاج، ومبادئ تدقيق الحسابات، وهذه بحد ذاتها ظاهرة ثقافية هائلة. ويقال ايضا ان فيثاغورس ذاته تعلم في بابل أيام البابليين.

من هنا فان الاثريين حريصون جدا على الا تؤدي الحرب، أو القصف العنيف الذي يرافقها، الى تدمير عشرات الآلاف من المواقع الاثرية، وهو رقم يؤكده هؤلاء بكل تحفظ.

يقول العالم الاثري ماجوير غيبسون من جامعة تشيكاغو الذي قاد بعثات كثيرة للتنقيب في العراق منذ العام 1964 والذي يرأس حاليا الجمعية الاميركية للأبحاث في بغداد، وهو اتحاد يضم نحو 30 متحفا وجامعة، ان الحروب والمواقع الاثرية لا تنسجم معا. وقوله هذا صحيح ايضا مئة في المئة. فكلنا يذكر ما حصل في الحرب العالمية الثانية، عندما أدى قصف المدن بين المانيا النازية والحلفاء الى تدمير مواقع سياحية واثرية بكاملها. يكفي ان نذكر مدنا مثل دريسدن في المانيا وكوفنتري في بريطانيا ليستشيط سكان البلدين غضبا، متذكرين ما حصل من كوارث وفواجع بالنسبة الى تراثهم الوطني والاثري، اضافة الى الخسائر البشرية الجسيمة.

والامثلة كثيرة ومتعددة، منها على سبيل الذكر لا الحصر حرب فيتنام وكمبوديا حيث دمرت معابد وأبنية قديمة، حتى في قلب الادغال النائية والموحشة.

ان المشكلة الكبيرة هي ان العديد من البلدان المتحاربة تقوم باستغلال المواقع الاثرية لاخفاء اسلحتها وبطارياتها رغم تحذيرات الاونيسكو المستمرة من مغبة ذلك. لكن العسكريين لا وقت لديهم لمثل هذه «السخافات» كما يسمونها، ولا يعيرونها اذانا صاغية.

غيبسون يضيف الى ذلك كله قوله ان الجيوش تميل عادة اثناء الحروب الى احتلال المواقع العالية. وعندما يحصل ذلك تقوم بحفر الخنادق والاستحكامات هناك والتي عادة ما تكون مواقع ومستوطنات قديمة.

ان الكثير من الجمعيات الثقافية والاثرية الاميركية وغير الاميركية قامت في الفترة الاخيرة بزيارات الى البنتاغون املا في توضيح الصورة للعسكريين، اذ زودتهم بخرائط مفصلة عن المواقع هناك وضرورة تفاديها بأي ثمن لكونها جزءا من التراث العالمي، قبل ان تكون من التراث العراقي وحده.

نديم نحاس

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية